طبيعة اللغة المستعملة في الأحجية الشعبية الأوراسية

The Nature of the Used Language in the Aurasian Folk Puzzle

حليمة عواج*
جامعة الحاج لخضر باتنة aouadjhalima@gmail.com1

تاريخ الإرسال	2019/02/03م	تاريخ القبول	2019/03/04م

ملخص

إن الظروف التي مر بها الشعب الأوراسي خلال فترة الاحتلال أثرت بشكل كبير على ذاكرته الفردية أو الجمعية، فطبيعي والإنسان يعيش هذه الظروف والتطورات أن تتطور لغته ومشاعره وعواطفه وكيانه كله، الأمر الذي دفع به إلى أن يجيد في المناسبات عديد الفنون الشعبية منها فن التلغيز، فاللغز الشعبي(الأحجية) فن أدبي يختص بانفرادية جمالية قد لا يشاركه فيها كثير من الفنون الشعبية الأخرى شكلا ومضمونا، لذا جاءت ورقتنا البحثية لتتحرى هذا التميز من خلال إبراز تلك السمات المرتبطة باللغة على وجه الخصوص وكيف يوظفها المبدع الشعبي في التعبير عن أفكاره وتصوراته، فهل اللغز الشعبي شكل لغوي يحترم الإعراب كما في الفصيح أم أن له قواعد خاصة؟

الكلمات المفتاحية: الأحجية الشعبية؛الأوراس؛ العامية؛الفصحى؛اللغة

Abstract

The circumstances that the Aurasian people went through during the period of colonization greatly affected their individual or collective memory. Thus, it is natural for a person experiencing these conditions and developments to evolve his language, feelings, emotions and all his entity. This led him to master many popular arts, including puzzle art. The popular enigma (the puzzle) is a literary art that is concerned with aesthetic unilateralism, which may not be shared by many other folk arts in form and content. Therefore, our research paper aims to investigate this distinction by highlighting features related to language in particular; and how the popular creator uses them to express his ideas and perceptions. Is the popular puzzle a linguistic form that respects the syntax the same as in academic language? or does it have special rules?

Keywords: folk puzzle; aures; colloquial; academic language; language

* المؤلف المرسل

1-مقدمة

إن دراسة الأدب الشعبي لا يقتصر فقط على اكتشاف الخلجات النفسية للشعوب واهتماماتهم الروحية فـ" الحديث عن الأدب الشعبي حاجة ملحة فرضتها إشكالية البحث في القيم الثقافية والفكرية الأصيلة للشخصية الوطنية، فالأدب الشعبي يعد أحد أهم الركائز الثقافية الوطنية والبحث في مجاله يعد بحثا أصيلا مرتبطا بالكيان الثقافي لأية أمة من الأمم البشرية، إن هذه الحاجة -دون شك- يمليها الواجب ومسؤولية إثبات الذات، وتحديد هويتها، وتدعيم بقائها واستمرارية صمودها في خضم هذا التهافت الفكري ،السياسي، الثقافي والايديولوجي."(سعيدي، 1998،ص2).

ومن أبرز الفنون القولية في الأدب الشعبي المتداولة شفاها أو كتابة فن التلغيز، فالتراث الأوراسي حافل به، وذلك ضمن لهجات متقاربة وأهداف متضاربة، فاللغز الشعبي" لغز يعبر باللهجة الشعبية المشتركة بين جميع أفراد الشعب أو الجماعة الشعبية." (فزاري. 2012، ص 128).

وفي الشأن ذاته نجد قولا لموريس بلوم فيلد/ Maurice Bloomfield أوردته نبيلة إبراهيم في معرض حديثها عن ماهية اللغز ونشأته يقول فيه:" إن اللغز نشأ منذ قديم الزمان حينما كان العقل البدائي يمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به. ذلك أنه كلما كانت الرؤية أكثر نضارة، ازدادت الرغبة في إدراك ظواهر الطبيعة وظواهر الحياة، وإدراك القوانين التي تحيط بالإنسان. ومن ثم، فإن الأطفال يحبون الألغاز ومثلهم البدائيون. ولهذا فإننا نجد الأنواع الأدبية الشعبية مثل الأسطورة والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية تتضمن الألغاز. فاللغز يشير إلى غموض الحياة، وهو في الوقت نفسه، يمثل إدراك العقل البكر." (إبراهيم، 1981، ص 191)

وعليه فإن الألغاز أو ما يعرف بالأحاجي لها أثر كبير في إثراء الثقافة من خلال تجسيد القيم المختلفة في المجتمع، فهي إذا إحدى أهم الركائز الثقافية الوطنية، لعل هذه الأهمية البالغة هي التي دفعت الباحثين والدارسين إلى التأليف فيها كتبا أو دراسات أكاديمية، نذكر في مقدمتهم آنتي آرني في بحثه الموسوم بـ: " الدراسة المقارنة للألغاز (1918- 1920) وعبد الملك مرتاض في كتابه" الألغاز الشعبية الجزائرية، دراسة في ألغاز الغرب الجزائري" (1982). (فزاري، 2012، ص 131) وللأهمية ذاتها انتهجنا النهج نفسه في دراسة الألغاز الشعبية برسالة أكاديمية جاءت معنونة بـ:" الألغاز الشعبية في الأوراس"، جمع ودراسة (2007).

وانطلاقا مما سبق نتساءل: ما سمات الأحاجي؟ وكيف عبر المبدع الشعبي الأوراسي عنها؟ وما مدى تأثيرها في المستمع؟

2- السمات:

قد تشترك الأحاجي مع الفنون الشعبية الأخرى- حكاية، قصة، مثل، ملحمة، أسطورة- في الصفات الأساسية التي يمكن استخلاصها انطلاقا من تعريف الأدب الشعبي بأنه أدب عامي، تقليدي، شفاهي، مجهول المؤلف، متوارث جيلا عن جيل. (سعيدي،1998، ص9، 12).

فمن سماته الرئيسة إذا التداول الشفوي بلسان عامة الناس والتوارث جيلا عن جيل ومجهولية المؤلف حيث ينتجه فرد بعينه ثم يذوب في ذاتية الجماعة.

أما ما تنفرد به الألغاز عما سواها فنجد ما يتعلق بالبنية التركيبية وما يتصل بالطابع الغالب عليها؛ فالأحجية الشعبية تتألف من أربعة أجزاء رئيسة هي: مقدمة (البنية الاستهلالية)، نص اللغز (بنية الموضوع)، طرح السؤال (بنية السؤال)، الإجابة أو الحل (بنية الجواب). وفي الجدول الآتي مثال عن ذلك:

الأحجية الشعبية	البنية التركيبية/ أجزاء الأحجية/ عناصر الأحجية
-حاجيتك ما جيتك/ حانجيتكم:	-البنية الاستهلالية.
-شجرتنا شجرة الضرضار ما تيبس ما تخضار من عهد سيدنا المختار.	-بنية الموضوع.
-واشي هو؟	-بنية السؤال.
-الصلاة.	- بنية الجواب

(عواج،2007، ص183)

يتحدث محمد عيلان عن خصائص الأحاجي مركزا على بعض من هذه الأجزاء بقوله:" تحتوي لمحاجية على استهلال يتكرر ويشير إلى أن السائل يطرح لغزا أو محاجية(حَاجِيتَكْ) أو (حانْجِيتْكُمْ) إن كان السائل يتحدى جماعة... صيغة ختامية بها المفتاح الذي يقرب المتأمل من الحل الصحيح." (عيلان،2013، ص103) وفي موضع آخر يفصِّل في البنية التركيبية في معرض حديثه عن العناصر الأساسية في لمحاجية حيث يقول:" تتكون لمحاجية من عناصر قد تتوفر كلها وقد لا يتوفر بعضها في النص حين الطرح وهي:

أ- صيغة افتتاحية، ب- تسمية الشيء بصفته، ج- وصف المسؤول عنه بعبارة مضللة، د- صيغة ختامية، هـ- عدم ذكر القائل وإن كان معروفا، و- قصرها وعاميتها وطرافتها، ز- لمحاجية تتضمن المفاتيح ولكنها تتطلب الذكاء، والتركيز لكشفها... وأحيانا المفتاح هو التركيب اللغوي للمحاجية، وأحيانا أخرى هو السياق، وأحيانا أخرى يذكرون ما يلزم الشيء ولكنه مشترك مع غيره، فيُشَبَّه بشيء آخر، والتشبيه غير مقصود. ولكن هناك قرينة تجمعهما إذا أدركها المتلقي

وصـــل إلى الحل، كالاشـــتراك في التذكير أو التـأنيـث. وقـد يكون المفتـاح ظاهرا وموجودا في النص بصورة مباشرة." (عيلان، 2013، ص 105)

وعليه فإن الطابع الذي يغلب على الأحاجي بشكل واضح هو الطابع المحير من خلال ما يعتري بنية الموضوع من لبس وغموض وتعمية في الكلام بحيث "يحمل اللغز الشعبي المستمع على التساؤل والحيرة زمنا قبل إيجاد الحل الصحيح."(فزاري، 2012، ص131)

بالإضـافة إلى الطابع الشـعبي الذي يجسـد فيه اللغز الشـعبي الواقع الشـعبي "ويعبر عنه ويعكس البيئة التي ينتمي إليها، والطابع التعليمي من خلال التلاعب بالألفاظ والعبارات والمعاني." (فزاري، 2012، ص131)

واستنادا على ما سبق ذكره تأكدنا مليا بأن اللغز يتمتع بانفرادية جمالية خاصة عن باقي الفنون الشعبية الأخرى فهي " جنس أدبي قائم بذاته له أصوله ومقوماته الفنية واللغوية والبلاغية، فهو يعتبر من الأشكال التعبيرية الشعبية الأكثر رواجا وشيوعا كالمثل والنكتة." (سعيدي،1998، ص 97).

3- اللغة:

إن الحديث عن اللغة في الأحجية الشعبية يستوجب منا التميز بين الأدب الشعبي والعامي والفصيح؛ فالاختلاف واضح من خلال التسمية في حد ذاتها حيث" يختلف الأدب الشعبي عن الأدب العامي اختلافا جوهريا، فالأدب العامي يعتمد اعتمادا أساسيا على اللغة العامية المتداولة، حيث يشترط فيه أن يكون لفظه ملحونا عاطلا عن الإعراب بعيدا كل البعد عن التزام الفصحى التي هي أساس الأدب الرسمي، وإلا لما وجد فرق بين الأدبين العامي والفصيح."(حرب، 1999، ص63)

هكذا يتبين من هذا الرأي أن الفرق الجوهري يكمن في كون الأدب العامي يرتكز وبصورة دقيقة على اللغة العامية، البعيدة عن اللغة الفصيحة، وميزان الحد في ذلك هو اللحن في الأولى ، والإعراب في الثانية، لكن هذا الفرق لا ينفي وجود تقاطع بينهما فـ" الأدب العامي كالأدب الفصيح يعبر عن خلجات شخص معين وتطلعاته، فهو أدب شخص بعينه يعبر عن مشاعره باللغة العامية، والأدب العامي كالأدب الفصيح يطاله التدوين منذ البداية، فيحفظ في الكتب ويصان من التغيير والتبديل والتعديل والإضافة، وهي أمور تعد من مميزات الأدب الشعبي." (حرب، 1999، ص63)

ومهما يكن من خلاف في مسألة التمييز بين هذه المصطلحات يمكن تلخيصها حسب كل مصطلح في نقاط معينة:

أدب شعبي: - أدب الشعب كله في العالم كله(العالمية).

- ينتشر بالتداول سواء بالممارسة أو بالمشافهة.
- مختلف الشعوب مختلف اللهجات.

أدب عامي: - أدب الأقاليم الشفوي، أو أدب اللهجات (خصوصية المكان واللهجة والتقاليد).

لا يرقى إلى التعبير عن الفكر بل هو أدب الحياة اليومية تمثله الأغنية والمثل أكثر من بقية الفنون.

يشترك مع الأدب الشعبي في أن كلا منهما يرتكز في التعبير على الكلمة والإشارة والحركة والإيقاع. يعتبر كل منهما حلقة من حلقات التراث الشعبي حيث يكونان الرصيد العاطفي والنفسي للإنسان في بيئته، بالإضافة إلى تكوين الموروث الشفوي، إلى جانب كونهما مرجعية في تحديد هوية التراث الثقافية والاجتماعية.

أدب فصـيح (مـدرسـي): هو الـذي لا يتم الإبـداع بـأدواتـه (الكتـابـة، النطق، التـداول) إلا بعـد تعلمهـا وتلقيهـا في مـدارس سـنوات طويلـة وعلى يـد أسـاتـذة مختصين.

فحينما نقول: ألغاز باللغة العربية لا نعني بذلك تلك اللغة الخاضعة لقواعد الإعراب وإنما هي تلك اللغة العامية فـ"لما كان اللغز مما ينتمي إلى الأدب الشعبي فإن لغته كانت بوجه عام، عامية لا تحترم الإعراب، ولا تغترف من نهر الفصحى الثرثار."(مرتاض، 1982، ص127).

ومن وجهة أخرى فإننا نجد عبد الملك مرتاض يشير أو ربما ينبهنا إلى قضية أخرى تكمن في العلاقة بين العام والخاص؛ إذ يمكن القول إن هذه اللغة العامية جزء من اللغة العربية القائمة على أصول وقواعد منذ نشأتها إلى اليوم فـ: " اللغة كالإنسان وجدت مع جذوره الأولى في تكوين آدم وحواء، جاهزة للحضور والنماء، فكانت ملكة ربانية تلازم من كرمه الله، وأسجد له الملائكة حين عبر بها عن القدرة والمعرفة والإبداع في تناول الواقع، وما يحويه من كائنات، ثم كانت تفرعات البشر في الأصقاع والأحقاب، تتداول هذه الغرسة الكريمة وتحملها ثمارا متنوعة في التصويت والدلالة والصياغة والتركيب، حتى شبت فيما بين أحضانها نبتة نابهة عزيزة، كتب لثمارها الإكرام والخلود، وهي لغة الضاد."(قباوة، 2001، ص1).

إلا أن هذه اللغة كانت وستظل عرضة للتطور في مختلف عناصرها من أصوات وقواعد ومتون ودلالات، فهي كالكائن الحي تماما لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها وهم من الأحياء، لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره. (رمضان، 1997، ص9).

أما إذا نظرنا إلى اللغة على أنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (العامية) فهي في هذه الحالة ضرورية في الحياة البشرية و"تعد بذلك صانعة رحلة الإنسان الطويلة على الأرض، ومعها العديد من الأدوات التي كانت معينا له، يتغلب بها على ما حوله من ظروف البيئة الخارجية والداخلية." (مندور، 1974، ص3).

وهكذا يتضح مليا بأن اللغة مستمدة من المجتمع إذ هي بذلك: "ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع، فترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه."(رمضان، 1997، ص9).

لهذا يمكننا أن نصفها أيضا كما وصفها هيدغر: "اللغة هي بيت الوجود، في بيتها يقيم الإنسان وهؤلاء الذين يفكرون بالكلمات، ويخلقون بها، هم حراس ذلك البيت وحراستهم تحقق الكشف عن الوجود."(حمودة، 1998، ص153).

فإذا قمنا بعملية القياس لوجدنا أن هذا الوصف ينطبق تماما على لغة الألغاز الشعبية، وسيتضح ذلك من خلال الجدول التالي:

تفكيك الوصف	القياس
- اللغة هي بيت الوجود	- لغة الألغاز
- الإنسان يقيم فيه	-المسؤول عن الإجابة (المرسل إليه)
	- المبدع الشعبي (المرسل، المؤسس)
- حراس ذلك البيت	
- تحقيق الكشف	**-الكشف عن غايات وجود أو طرح أي لغز من الألغاز الشعبية**

فهذا الجدول إن دل على شيء إنما على مكانة اللغة في كل فن من الفنون الأدبية سواء الشعبية منها أم الرسمية (الفصيحة)؛ إذ هي القالب الذي تصب فيه

الأفكار والمشاعر التي تنتقل من الحالة المجردة في الذهن إلى حالة محسوسة مجسدة في اللغة.

هكذا وانطلاقا من المعطيات السابقة، فإن عامية الألغاز الأوراسية في حد ذاتها تتفرع إلى ملكتين:

- **الأولى:** ملكة لسانية مهذبة تتسم بالرقة والحضارة، فهي أقرب ما تكون إلى اللغة الفصحى (اللغة الحضرية: راقية في موضع الرقة، جزلة في موضع الجزالة، لا ثقل في حروفها، ولا تنافر في كلماتها ولا غرابة في مدلولها).

- **الثانية:** ملكة لسانية غير مهذبة لما تتصف به من قوة وخشونة في اللفظ (اللغة البدوية: بحسب حياة الشظف والخشونة، وهي تلائم طبيعة البداوة وطريقة أهلها في التعبير.) (العوبي،1989، ص112).

فإذا ما أجرينا عملية إحصائية لوجدنا معظم الألغاز تميل إلى النوع الثاني من الملكات اللسانية لا لشيء وإنما لما تحتاجه طبيعة اللغز من الغموض في المعنى والقوة في اللفظ: فقيمة اللغة في الألغاز إذن لا تكون بمدى البساطة والسهولة، لكن تكمن في قدرتها على عدم الإفصاح عن المعنى المعبر عنه، والمقصود خلف التلغيز.

فمن خلال ذلك يمكننا القول: إن الألغاز الشعبية بالنسبة للمرسل إليه (المسؤول عن الإجابة) تميل إلى الغموض الذي يجنح للإبهام المضلل، والسوداوية المحيرة، واليأس المدمر، أما بالنسبة للمبدع فهي وسيلة يختبر بها ذكاء ومخزون المعلومات لدى المتنافسين، ومعرفة بداهتهم في الإجابة في غياهب العبرة والشك والفضول.

فالقضية إذا ليست قضية لغة وحسب، بل مزدوجة متصلة ببعضها بين اللغة الظاهرة المنطوقة والمعنى الباطن الخفي.

فإذا كانت هذه اللغة العامية لا تتقيد بقواعد النحو، فكيف يمكن التعامل معها في الدراسة؟

إن الألغاز بطبيعتها الشعبية: "تحرص على الملاءمة بين خصائص الشيء، وما يقابلها في حروف اللفظ بحيث يحمل في طياته تلك الخصائص الشكلية أو اللونية أو الصوتية، مما يجعله ينطوي على طاقة تعبيرية وظلية وجرسية، وذلك في إطار سبك وميل، وتعبير صقيل. "(العوبي،1989، ص112).

وبما أن هذه الأخيرة تتمتع بكل هذه الخصائص يمكننا دراستها انطلاقا من الفصيح، ولكن ما هي أهم النقاط التي سنركز عليها بالنسبة لهذا الغرض؟ فالفصيح -كما نعلم- غني في هذا الصدد بما فيه من أمور كثيرة تتحكم في عناصر الاتصال والانفصال، وكذا الطول والقصر في اللفظ والجملة على التوالي وغيرها مما يساهم في معرفة بناء وتركيب اللغة المستعملة في النص الشعبي. (عزوي،د.ت، ص147).

انطلاقا من هذه المعطيات سنحاول تقريب النظرة من خلال الجدول الذي سندرج فيه بعض ألغاز المجموعة بعاميتها (الحضرية والبدوية)، وفقا لما نراه مناسبا للتمثيل حيث سنعتمد في تحليلها على إبراز أهم ما يتعلق باللفظ والمعنى. وسنتعرف على النسب المئوية لبعض الألغاز بنوعيها على النحو الآتي:

العامية الحضرية	النسبة المئوية / عدد تكراره في المجموعة	العامية البدوية	ن.م / عدد تكراره في المجموعة
- الجيم جاب القاف معاه، كي وصل عند الميم راح أو خلاه (رقم: 34)	%8,10 3	-على ثلاثة دحادح وأمهم الصالحة وبوهم الكني من بوتو يغني (رقم: 03)	% 91,89 34
-إلي يتوضى ما يصلي و إلي يلبس ما يخلي، وإلي يخرج ما يولي (رقم: 45)	%16,66 02	-على كبي بن كبي، بيت الناس سهارة، حاحاوه بالطوب، إلا في بلاد لعمارة (رقم:46)	%83,33 10
-على طفلة هلايلية من أولاد هلال كبرت وعادت صبية، وخذات باباها زواج حلال (رقم: 50)	%20 02	-على عين النز وتنز من راسها باسوها لعرب والترك وحتى من الرسول باس راسها (رقم:53)	%80 08
-الطير بلا جنحين ياكل اللحم بلا سنين (رقم: 60)	%11,11 01	-على وصيف ساكن في الظل، والظل هو مباتوا، كي جات القضية، هرب خلا كساتوا (رقم: 67)	%88,88 08

-عندو عين ويمشي على رجل (رقم: 74)	%3,57 01	-عندي بقرة تسرح، كي تروح تجيب في ذيلها الحشيش (رقم: 72)	%96,42 29

-جماعة في حانوت إلي يخرج منها يموت (رقم: 100)	%16,66 01	-عسكري مكري، محير لي فكري، خرج من الدار طار راسوا في ساسو (رقم: 99)	%83,33 5
-وردة في الكاس دايرين عليها ميات حراس (رقم: 104)	%13,33 08	-الشايب هتراف وعريض لكتاف مسوا يكثر حسوا (رقم:117)	%86,66 52
- من برا ذهب، ومن داخل خشب (رقم: 173)	%6,66 4	-قربتنا زندة زندة، ما تقطر، ما تتندى (رقم: 166)	%93,33 56
- غرفة فوق غرفة فوق غرفة، غرفة بلا مفتاح (رقم: 252)	%10,14 7	-على خمس جحوشة كل جحش ببردعتو (رقم: 224)	%89,85 62
-إلى سموه بالسين، والسين سنية، نص عليك ونص علي (رقم:332)	%5,76 3	-شجرتنا شجرة الوطواط، ندرها ولا نبات فيكم مشحاط (رقم: 305)	%94,23 49
- لو كان هوما ما جيتك (رقم 357)	%10,66 8	-على وغد سكلول، والطيور عليه إينوحوا، كل طير حاكم حبارة، وهو مقرنص على روحو	%89,33 67

		(رقم: 384)	
/	418	/	418

عواج، 2007، ص165، 202.

ماذا يجب أن نلاحظ بعد إثبات هذا الجدول؟

إن النسبة المئوية في العامية البدوية تفوق ما في العامية الحضرية، وهذا بشكل واضح وبارز، ولعل ذلك يرجع إلى أصل وطبيعة البيئة، فمعظم ألغاز المجموعة تنتمي -من خلال ميدان الجمع –إلى البيئة البدوية الريفية.

لذلك نتساءل في حيرة: إذا كنا نتعامل مع بيئة ريفية، فكيف لنا وأن تحصلنا على تلك القلة القليلة من ألغاز العامية الحضرية؟!

لعل العامل الثاني الذي ذكره أحد الباحثين قضية الاختلاف الوارد بين حضرية اللغز وعدمها، لجواب كاف إلى حد ما للعلة المطروحة، والمتمثل في كون واضع اللغز لم يخرج من نطاق البيئة التي أثارها اللغز (البدوي)، ولكنه كان مثقفا، فخرجت ألفاظه رقيقة مهذبة حضرية لأن ذوقه الشعبي مصقول بالثقافة والتمدن. (مرتاض، 1982، ص142).

1-3 - على مستوى العامية الحضرية:

يمكن أن نتمثل بعض هذه اللغة الرقيقة في اللغز التالي:

"غرفة فوق غرفة فوق غرفة، غرفة بلا مفتاح."

إن كل لفظ من ألفاظ هذا اللغز يدل على عذوبة الصوت من خلال التكرار الوارد في كل من: غرفة وفوق. فإن دل عن شيء إنما في أنه برهان ساطع على مقدار العناية الفنية التي يعيرها الواضع الشعبي لتكرار ألفاظ معينة داخل لغز واحد،

وإن الدافع الحقيقي ربما لذلك يتمثل في الرغبة في تثبيت الإيقاع الموسيقي للوحدة الصوتية خارجيا، وإشباعها بأجراس صوتية داخليا. (مرتاض، 1982، ص188).

فاللفظان مكرران بصورة متفاوتة بينهما، فالأول كرر أربع مرات والثاني مرتان. فاللفظ الأول يشتمل على الغين، من خصائص صوتها أنها: من الأصوات الطبقية انطلاقا من أن مخرجها من أقصى الحنك، فهو صوت مجهور غير مفخم، أي أنه مرقق أو بين الترقيق والتفخيم، وهو يندرج ضمن المخارج الاحتكاكية (الرخوة)، لينتقل بعد ذلك إلى حرف لثوي (الراء) صادر عن طرف اللسان، ليتعرج من ذلك كله نحو صوت شفوي أسناني (الفاء) فهو مهموس غير مفخم ليصل في آخر المطاف إلى صوت أسناني لثوي إذا ما تمت عملية النطق فيه، أما إذا أهمل، ولم ينطق في هذه العامية. فنقول عنه: سكون مكين ميت. (الخويسكى،1997، ص72، 73).

فـ "الغين والراء والفاء أصل صحيح ... فَالغَرْفُ: مصدر غرفت الماء وغيره أغرفه غرفا، والغرفة: اسم ما يغرف، والجمع: غرف.. والغرفة: العلية، ويقال: غرف ناصية فرسه إذا استأصلها جزا." (ابن فارس، د.ت، ص418).

والملاحظة الصوتية العامة حول هذا اللفظ تكمن في اختلاف فونيماته الأربعة من حيث نبرات أصواتها التي تمثل سرا صوتيا رائعا: بحيث لا يتكرر حرف منها مرتين، لتجنب اضطراب اللسان واختلال النطق، بالإضافة إلى الحصول على صوت منسجم الأنغام.

ولا نختلف في الرأي بالنسبة للفظ الثاني إلا من ناحية مخارج وانتماء الأصوات في حروفه. فأول حرف فيه "الفاء"، ومن خصائصه أنه احتكاكي رخو ليس مجهورا، بل هو مهموس غير مفخم، ثم يليه صوت شفوي؛ إذ يشترك في هذه الصفة مع الحرف الأول الذي يزيد عنه باعتباره أسناني شفوي، وهذا الحرف هو "الواو" لينتهي به الأمر إلى حرف لهوي يمكن إلحاقه من الناحية الصوتية بالحروف

الحلقية، لتقارب المخارج فيه بين اللهاة والحلق؛ إذ لا يمكن أن ننطق هذا الحرف وفمنا مغلق، إذن ما هو هذا الحرف الذي تنطبق عليه هذه المواصفات؟

من خلال اللفظ الذي هو بين أيدينا في هذا الموضع "فوق" نقول بطبيعة الحال هو حرف: القاف. فرغم أن هذا الحرف ينتمي إلى حروف القلقلة التي من خصائص أصواتها: الرجرجة والاهتزاز والاضطراب (مرتاض، 1982، ص129)، والتي تعد وصفا كاملا للجزالة البدوية ورغم وروده في هذه اللفظة وهذا اللغز إلا أننا أدرجناه ضمن العامية الحضرية الرقيقة والمهذبة لما تحتاجه أحيانا إلى مثل هذه الحروف التي تحدث انسجاما صوتيا رقيقا رائعا، وهنا تتأكد لنا فكرة أن اللغة الحضرية راقية في موضع الرقة، وجزلة في موضع الجزالة.

ف" الفاء والواو والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على علو، والآخر على أوبة ورجوع.

فالأول الفوق: وهو العلو، ويقال فلان فاق أصحابه يفوقهم إذا علاهم، وأمر فائق أي مرتفع عالٍ."(ابن فارس، د.ت، ص461) ولو شئنا أن نحلل اللفظ الباقي في اللغز، لوجدناه أكثر تهذيبا ورقة من سابقيه بناء على معطيات الفونيمات الصوتية التي يتألف منها، وقبل التطرق إلى عرض ما يتشكل منه هذا الفونيم، لابد من الإشارة إلى أنه مسبوق بأداة نفي هي: بلا: هذا اللفظ المكون من: الباء واللام.

فالباء← فونيم شفوي ضعيف، لطيف الصوت بدءا، وشديده منتهى.

أما اللام ← فونيم لثوي ضعيف ولطيف أيضا، ورغم هذا التباعد نوعا ما في المخارج إلا أن هذه الأداة تبدو أكثر انسجاما من حيث الطلاوة والرقة في النطق بين هذين الفونيمين.

وعن اللفظ الأخير من هذا اللغز: "المفتاح" نلاحظ أنه يتشكل من الآتي:

"الـــ" ← فالألف فيها لا تبدو في النطق لأنها موصـولة بالهمز الميت، فالصـوت الحقيقي إنما هو "لـــ" التي من صـفاتها أنها من الأصـوات اللثوية، فلا هي من الحروف المجهورة ذات الصـفير الشـديد، ولا هي من الحروف المهموسـة ذات الصوت الثانوي.

وما هو ملاحظ إذا في هذا الفونيم أن صوته ضعيف لطيف لا يكاد يبين. ثم يأتي بعده حرف شفوي لطيف أيضا:

"م"← الذي من خصائصه أنه فونيم أنفي مجهور كليا، وعندما يضاف إلى حرف أقرب منه نسـبيا في المخرج فإنه يعطي لنا نغمة رقيقة مهذبة، والمقصـود به الحرف الذي يليه مباشـرة "الفاء"← هذا الصـوت الشـفوي الأسـناني المهموس، وغير المفخم، والواضح عندما ننطق الحرف السـابق مع الفاء أي "مفـ" نحصـل على ذبذبة صـوتية مركبة تركيبا مهذبا، تحدث صـدى واضـحا، فصـوتها هنا بالذات قوي لا بمعنى البداوة الموغلة في الغلظة وإنما العكس تماما خصـوصـا لورودها في مونيم هو أقرب في النطق إلى الحضـرية منه إلى البدوية. وبعدها نلاحظ ذلك التتابع أيضا في الحرفين الموالين: "تَاْ"

"فالتاء"← صوت أسناني لثوي مهموس متبوع بألف ممدودة، لا تبدو في النطق لأنها موصـولة بالهمز الميت كما في الفونيم الأول من هذا المونيم. ويبدو من خلال هذا الوصف أن تتابع كل من التاء والألف أعطى للفظ أكثر رقة وتهذيبا.

أما عن الحرف الأخير المتمثل في: "الحاء" فمن خصائصه أنه حلقي، فهو عبارة عن شحنة صوتية منبعثة من أقصى الحلق، يتبعها همس صوتي واضح، ولعل تلك الحكاية التي أوردها عبد الملك مرتاض في تعليله لطبيعة هذا الصوت المتصل بجهاز التنحنح في الحلق أدل على مخرجه. (مرتاض، 1982، ص136).

والملاحظة الصوتية العامة حول هذا اللفظ، وكأنه مركب من حيث بنيته الداخلية بمعنى التوالي في النطق بين حرفين، ما عدا الحرف الأخير: "الحاء"، وهذا التوالي لا يعني التكرار في الفونيمات، وإنما هو تقارب في المخارج، وهو دليل على تلك العامية الحضرية المهذبة سواء في توالي وتتابع الفونيمات أم المونيمات؛ إذ لا نجد فيها تنافر في الكلمات ولا غرابة في المعنى أو المدلول.

3-2- على مستوى العامية البدوية:

يمكن ملاحظة هذه اللغة الجزلة التي تلائم طبيعة البدوي وتصوراته من خلال هذا اللغز "على خمس حجوشة، كل جحش ببردعتو."

فقد يكون هذا المثال أكثر دلالة على خشونة الألفاظ التي تنتمي إلى هذا المستوى فإننا نلحظ فيه: الجزالة والشدة، فاللهجة القوية غير المهذبة -التي تكون على الأغلب من طبع البدويين- هما الظاهرتان المسيطرتان، ولا سيما في لفظ: الجحش والبردعة. (مرتاض، 1982، ص138).

ومما تجدر الإشارة إليه في نص هذا اللغز هو ظاهرة الاشتقاق وتركيب الكلمات بعضها من بعض، فمع تقارب الكلمات تتجدد المعاني، وتختلف مقاصده أو ربما تكون تأكيدا للمعنى الواحد. فقد وظف المبدع مشتقات لفظة: "جحش" في صيغتي جحوشة وجحش الدالتين على حيوان فـ: "الجحش ولد الحمار الوحشي والأهلي والجحش من أولاد الحمار كالمهر من الخيل."(ابن منظور،1992، ص270).

فالمبدع ينقل الكلمات من موضع إلى آخر لتوليد ما يسمى بمعنى المعنى "the meaning of meaning".

إن كل لفظ من ألفاظ هذا اللغز قوية من ناحية النطق لأننا نبذل جهدا ثقافيا في نطقه وبالأخص في لفظتي الجحش والبردعة، لذلك سنمضي إلى البحث

في التركيبة الصوتية لكلتا اللفظتين عن طريق إدراج جدول لكل لفظة نوضح من خلالهما ما ذكر:

الفونيم	انتماؤه الصوتي	وصفه
ج	غاري	حرف شجري، حاد، مجهور، منفتح، فموي، لأن مخرجه من شجر الفم.
ح	حلقي	حرف رخو، مهموس، منفتح، فموي لأنه شحنة صوتية منبعثة من وسط الحلق، مصحوبة بهمس صوتي واضح.
ش	غاري	حرف شجري، حاد، مهموس، منفتح، فموي لأن المخرج من شجر الفم.

(حركات، 1993، ص89، 110)

يتضح من خلال الجدول أن حرفي الشين والجيم ينتميان إلى أسرة صوتية واحدة، فكل منهما شجري، وتكمن نقطة الاختلاف بينهما في أن حرف الشين مجهور وحرف الجيم مهموس.

وبين هذين الحرفين المتآخيين نسبيا، نجد حرفا ثقيلا هو (الحاء) الذي ينبعث من وسط الحلق، فكأن وجوده في هذا الموقع الصوتي، إنما كان ليرفع من درجة التذبذب الصوتي لهذا المونيم، ويزحف به نحو الجزالة البدوية. (حركات، 1993، ص45/88) وإذا انتقلنا إلى المونيم الثاني الذي يؤكد سمات البدوية سيتضح لنا التالي:

الفونيم	انتماؤه الصوتي	وصفه
ب	شفوي	- شـفوية مزدوجة شـديدة، مجهورة فموية، لطيف الصوت بدءا وشديده منتهى.
ر	لثوي	من الحروف المـائعـة، حرف لثوي مكرر بين الشـدة والرخـاوة، مجهور، فموي، منفتح، فهو عسـير المخرج فصـوته يختلف باختلاف نطقه.
د	أسناني لثوي	-مجهور، منفتح، فموي. قوي المخرج جدا؛ إذ بالإضـافة إلى أنه أسـناني لثوي فهو ذو قلقلة تشبه الصوت المشدد فكأنه ينطق مرتين.
ع	حلقي	- رخو، مجهور، منفتح، فموي، فهو ينبعـث من وسـط الحلق وليس من أقصاه، فالحروف المتعلقة بذلك هي (الهمزة والهاء)
ت	أسناني لثوي	-حرف شـديد، مهموس، منفتح، فموي سـهل المخرج، لأن مخرج الفم ينغلق حين نطقه
و	جرسي	- من الأصوات الجرسية بين الشدة والرخاوة

(حركات، 1993، ص89، 110)

إن الذبذبات الصوتية القوية في هذا المونيم أكثر من الذبذبات الصوتية الضعيفة، وبناء على كل المعطيات السابقة في المونيمين؛ لذا فإنهما على درجة كبيرة من الجزالة.

أما وصف فونيمات المونيم الأول "خمس"، فيكون مرتبطا بوصف أصواته أيضا من خلال الجدول التالي:

الفونيم	انتماؤه الصوتي	**وصفه**
خ	طبقي	- أقصى الحنك، لهوي، رخو، مهموس.
م	شفوي	-مزدوج، سهل المخرج، ممتد الصوت.
س	أسناني لثوي	من حروف الصــفير، فهو رخو، مهموس منفتح، فموي يحتاج إلى الأسنان كاملة في الفم، وإلا خرج صوته شينا.

(حركات، 1993، ص89، 110)

فرغم أن كل حروف هذا اللفظ تميل إلى الحضرية أكثر إلا أنه أدرج ضمن الطابع البدوي لأن نسبة الألفاظ البدوية في هذا النص تستدعي ورود أو وجود لفظ له من الحضرية ما يأتي موضع الجزالة.

لذلك فإن النتيجة العامة التي يمكن استخلاصها من هذا اللغز المتعلق بالمستوى الصوتي للغته هي أن ألفاظه تنتمي إلى القسم الثاني ذي اللغة الجزلة القوية لأن أكثر الحروف التي يتشكل منها نجدها قوية ضخمة المخارج.

وإن ما يمكن توضيحه أيضا هو أن البدوية تكون ذا لغة جزلة طورا وغريبة حوشية طورا آخر، وهذا يتفاوت من لغز إلى آخر، وحتى في اللغز الواحد يمكن أن نجد فيه كل ما ذكر من غرابة وحوشية وقوة وخشونة. إلا أن اللغز الذي بين أيدينا في هذا المقام لا نجد فيه ذلك، ولكنه جزل قوي في ألفاظه.

وبالإضافة إلى هذا المستوى الألسني في التحليل وتحديد مدى حضرية وبدوية الألغاز هناك طريقة في التحديد (بعيدا عن الألسنية) والتي تستلزم زمنا طويلا لاستئصال جذور اللغز عن طريق تطبيق بعض شروط الجمع الميداني

المتصلة بالبيئة الأصيلة للمبدع الشعبي. ولكن ما دمنا في مقام لغوي سنستغني بالفعل عن هذا التحديد، لما تتطلبه منا اللغة من وصف ألسني يقوم أساسا على دراسة العناصر الصوتية من فونيمات ومونيمات دون الخوض في دراسة الجملة التي هي من شأن الأسلوبية، لا من شأن اللغة كظاهرة صوتية. (مرتاض، 1982، ص128).

فهذا يحيلنا إلى القول: لكي يكون اللفظ مؤديا للوظيفة الموضوع لها، لا بد أن يكون المعنى شريفا.

4- خاتمة:

إن الألغاز لصيقة الصلة بالنفس البشرية فوجودها إذن عام في كل اللغات تكتظ بها الآداب الشعبية فهي لا تقتصر فقط على التعجيز والتسلية كما يبدو من الوهلة الأولى، بل تعد ضربا من ضروب الرياضة الفكرية غايتها الأولى: التربية والتعليم واكتشاف المعارف بالإضافة إلى التوجيه والنقد والإصلاح، ولتحقيق ذلك وجب على المبدع الشعبي الاهتمام بلغتها وصياغتها في قالب خاص بها أين تتواءم خصائص الأشياء مع ما يقابلها من حروف الألفاظ. لذا جاء بحثنا يتحرى طبيعة هذه اللغة في أحاجي الأوراس فكانت أهم النتائج التي توصل إليها الآتي:

- تجسدت عبقرية المبدع الشعبي في الأحجية الشعبية من خلال الطريقة الرائعة في توظيفه لسمات عدة كان أبرزها اللغة، حيث برع في تنميق ألفاظه وعباراته بما أودع فيها من بعد في الفكرة وعمق وشمولية، وسعة في الوصف بالإضافة إلى الجمالية والتأثير.

- إن اللغة المستعملة في الأحجية الشعبية الأوراسية هي اللغة العربية واللهجة الشاوية، إلا أننا لم نستدل على الأحاجي المنطوقة بالشاوية لقلتها مقارنة مع ما ورد باللغة العربية وهذا إن دل على شيء إنما على تأصل جذور اللغة العربية في الأوراس عامة وبعض مناطقه خاصة.

- إن اللغز الشعبي شكل لغوي لا يحترم الإعراب، فهو يخضع للذوق الفطري الذي فرضه الوسط الاجتماعي، وصقلته التجارب، ودرجة الرقي في التدرج الحضاري؛ إذ نجد الألغاز البدوية تختلف عن الحضرية بشكل ملحوظ.

- تتيح لغة اللغز الشعبي - بغض النظر عن نوع اللغة المستعملة – التواصل اللغوي الثنائي والجماعي بين الصغار والكبار.

- يُكسب اللغز الشعبي الأوراسي المستمع أو المرسل إليه – سواء كان أوراسيا أم لا- مخزونا معرفيا ولغويا وثقافيا واجتماعيا وتاريخيا وحضاريا وعقائديا.

- اللغة المستعملة في الأحجية الأوراسية بسيطة سطحية خاصة العامية الحضرية يفهمها الأوراسي وغيره من المستمعين في كل ربوع الجزائر.

- لعل خاصية الرواية الشفوية في الأدب الشعبي أفقدت لغة الأحجية الشعبية كثيرا من خصائصها الأصلية؛ لذا وجب المحافظة على هذا التراث الشعبي القيم والأصيل عن طريق جمعه وتدوينه كي لا يطاله تحريف من زيادة أو نقصان.

5- قائمة المصادروالمراجع:

1- إبراهيم، نبيلة. (1981). "أشكال التعبير في الأدب الشعبي". [د.ط]. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

2- حمودة، عبد العزيز. (1998). "المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك". [د.ط]. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

3- حرب، طلال. (1999). "أولية النص"، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي. ط1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

4- حركات، مصطفى. (1993)."الصوتيات والفونولوجيا". [د.ط]. الجزائر: دار الآفاق.

5- مندور، مصطفى. (1974). "اللغة بين العقل والمغامرة". [د.ط]. الإسكندرية: منشأة المعارف.

6-ابن منظور، جمال الدين محمد. (1992)."لسان العرب ". (مج 6). بيروت، لبنان: دار صادر.

7- مرتاض، عبد الملك. (1982). "الألغاز الشعبية الجزائرية"، دراسة في ألغاز الغرب الجزائري. [د.ط]. وهران: ديوان المطبوعات الجامعية.

8- سعيدي، محمد. (1998) "الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق". [د.ط]. تلمسان: معهد الثقافة الشعبية، ديوان المطبوعات الجامعية.

9- عواج، حليمة. (2007)." الألغاز الشعبية في الأوراس"، وادي الطاقة أنموذجا، جمع ودراسة. رسالة ماجيستير في الأدب الشعبي الجزائري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة 1: الجزائر.

10- العوبي، رابح. (1989). "أنواع النثر الشعبي". [د.ط]. عنابة: منشورات جامعة باجي مختار.

11- عزوي، امحمد. (د.ت)."القصة الشعبية في منطقة الأوراس". رسالة ماجستير في الأدب الحديث، معهد الآداب واللغة العربية، جامعة باتنة: الجزائر.

12- ابن فارس، أحمد. (د،ت)."معجم مقاييس اللغة ". (مج:04). بيروت: دار الجيل.

13- فزاري، أمينة. (2012). "مناهج دراسات الأدب الشعبي"، المناهج التاريخية والأنثروبولوجية والنفسية والمورفولوجية، في دراسة الأمثال الشعبية، التراث، الفولكلور، الحكاية الشعبية. ط1. القاهرة، الكويت، الجزائر: دار الكتاب الحديث.

14- قباوة، فخر الدين. (2001). "الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد". ط1. مصر: الشركة العالمية للنشر لونجمان.

15- رمضان، عبد التواب. (1997). "التطور اللغوي"، مظاهره وعلله وقوانينه. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي.

16- الخويسكي، زين كامل. (1997). "لسانيات من اللسانيات". [د.ط]. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.